International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
IJESA
Vol. (5), No. (5) May 2026 الإصدار (5)، العدد (5)

تحليل خوف النبي موسى عليه السلام في القرآن الكريم: دوافعه-دلالاته-وثمراته التربوية

دعاء سلام راجي الكلابي
مدرس مساعد، الدراسات القرآنية، قسم التربية الإسلامية، كلية التربية الأساسية، جامعة الكوفة، العراق
doaasalam07@gmail.com

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تحليل خوف النبي موسى عليه السلام كما ورد في القرآن الكريم، مُتتبعاً مواقفه المتكررة في سياقات مختلفة، ومستخلصاً دوافع هذا الخوف، ودلالاته العقائدية والفكرية، وثمراته التربوية في مسيرة الرسالة.

ويتناول المبحث الأول أبرز مواقف الخوف في حياة النبي موسى عليه السلام، من أثر حادثة القبطي، ومشاعر الخوف بعد خروجه من مصر، إلى خوفه عند تكليفه بالرسالة ومواجهة فرعون وملئه، وخوفه من انقلاب العصا حية، وخوفه من تبين سحر السحرة، ويُظهر هذا المبحث عن البُعد الإنساني في شخصية النبي مع تماسك يقينه وتوكله، ويوضح كيف يحصن القرآن الكريم مقام النبوة من أي سوء فهم ينسب إليه ضعفاً أو جبن.

أما المبحث الثاني فيستعرض الدلالات العقائدية والفكرية لخوف النبي موسى عليه السلام، فيُبين الفرق بين الخوف المذموم والخوف المحمود، ويربطه بدلالة البشرية ونفي الغلو، ويدل على أن هذا الخوف يُتبعُ برجاء واطمئنان، ويتكلل بكمال التوكل، كما يبرز الثمرات التربوية لهذا الخوف، بوصفه نموذجاً للإنسان المؤمن في التعامل مع الانفعالات الفطرية لا إنكارها، بل توجيهها إلى مقام العبودية واليقين.

إذ أبرزت النتائج أن خوف موسى خوف فطري بشري محمود يقود إلى التوكل لا شكاً في الوعد الإلهي، وقد قرن هذا الخوف في السياق القرآني دائما بالأمن والطمأنينة، فيجمع بين الإنسانية والقرب الروحي، ولا يفسر ضعفاً أو قصوراً في الإيمان، بل تربيةً وتمحيصاً.

الكلمات المفتاحية: خوف النبي موسى عليه السلام، القرآن الكريم، تحليل الخوف، دوافع الخوف، دلالة الخوف العقائدية، دلالة الخوف التربوية، الثمرات التربوية.

Analysis of the fear of prophets Moses in the Quran: its Causes, its Implicational Outcomes

Doaa Salam Raji
Assistant Lecturer, Quranic Studies, Department of Islamic Education, College of Basic Education, University of Kufa, Iraq
doaasalam07@gmail.com

Abstract

This study analyzes the fear of Prphet Moses (musa) as it appear in the Quran, tracing its recurrent manifestations and identifying its racaurrent manifestations and identifying its causes, its theological and intellectual implications,and its educational outcomes in the course of the prophetic mission, the first section presents the main situations of fear in moses life from the incident of the Egyptian and his departure from Egypt, to his fear at the moment of being

commissioned with the prophethood and confronting Pharaoh, his fear when the staff turned into a serpent,and his fear when the sorcery of the magicians became evident highting the human of his faith and trust in God, and how the Quran safeguards the status of prophethood from any misunderstanding of weakness or cowardice, the second section discusses the difference between blmeworthay fear and praiseworthy fear,links this fear to the dimension of human nature and the rejection of exaggeration, and shows that it is followed by hope and tranquility and crowned by complete trust in God, presenting it as a model for the believing human being in dealing with innate emotions not denying them, but redirecting them toward servitude and certainty, the study concludes that moses fear is an innate, human, and praiseworthy fear that leads to trust in God, not to doubt in the divine promise, and that it is consistently associated, in the Quranic context, with secuity and tranquility, reflecting a process of education and purification rather than weakness or deficiency in faith.

Keywords: Fear of Prophets Moses -the Quran-Analysis of Fear-Causes of Fear -TheologicaI Implication of Fear -Pedagogical Outcomes.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تُعد قصة النبي موسى عليه السلام في القرآن الكريم من أبرز القصص القرآنية طولاً وتفصيلاً وسلسلة ابتلاءٍ متكاملةٍ, إذ وردت في سورٍ كثيرةٍ (كالبقرة، والأعراف، ويونس، وهود، والإسراء وطه، والشعراء، والقصص، والنمل وغافرٍ، والزخرف)، مشتملة على مواقف وأحداثٍ تكاشف طبيعة الابتلاءات التي واجهها في تبليغ الرسالة النبوية، ومن أبرز هذه المواقف تجلي خوفه الذي يتكرر في سياقاتٍ مختلفةٍ مرتبطةٍ بمراحل حياته؛ فمن خوفه من عاقبة حادثةٍ وقعت في مرحلة ما قبل النبوة في سورة القصص إلى خوفه من تكذيب فرعون في سورة الشعراء ومن خوفه عند انقلاب العصا حيةً في سورة النمل إلى خوفه من تبين سحر السحرة.

وهذا التكرار يثير إشكاليةً عقليةً وعقائديةً؛ فهل يتعارض خوف النبي مع مقام النبوة الذي يتجاوز الخوف المذموم؟ أو ينسجم مع حالة اليقين والثبات؟ أم هو دليل على بعده الإنساني وطبيعة التنبه إلى العواقب، ودليل على كمال توكله على المولى بعد تحوله إلى طمأنينةٍ واستعدادٍ للمواجهة؟ تكمن أهمية البحث في سعيه لمعالجة هذه الإشكالية من منبع النص القرآني وتفاسير المفسرين (كالسيد الشريف المرتضى، العلامة الطباطبائي، والفضل بن الحسن الطبرسي، والخطابي الزمخشري، ومحمد علي الصابوني وغيرهم)، مبيناً دوافع خوف النبي موسى عليه السلام ودلالاته العقائدية والتربوية وثمراته في مسير الرسالة، وفي زمن تسعى فيه جهات مختلفة إلى تشويه صورة الأنبياء أو تعظيمهم على حد الغلو والتقديس المبالغ فيه، يعيد البحث النظر في مفهوم «الخوف النبوي» كدليلٍ على بشريتهم وكمال توكلهم، كما في قوله تعالى {..فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ..} [1]، بل يُدرك ضمن سياق بشريتهم التي أراد القرآن تأكيدها، كما في قوله تعالى {... لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ...} [2]، ليبقى النبي قدوةً للإنسان في كيفية التعامل مع الانفعالات الفطرية لا في نفيها.

الدراسات السابقة

سبقت دراسات متعددة تناولت موضوع الخوف في القرآن الكريم، وخوف الأنبياء، ومنها:

1. مقال مستل من رسالة الماجستير بعنوان «الخوف والخشية في القرآن الكريم» من كلية العلوم الاجتماعية بجامعة نجم الدين أربكان.

[1] سورة البقرة: الآية 38.
[2] سورة المائدة: الآية 94.

2. بحث بعنوان «ظاهرة الخوف في القرآن الكريم» للباحثة حليمة حسام حمادي المحمدي، منشور في مجلة الجامعة العراقية، العدد 58، الجزء 3.
3. دراسة بعنوان «انفعال الخوف عند الأنبياء وقيمته الإيجابية» للدكتور عودة عبد الله، رسمية عبد القادر، إبراهيم مصطفى.
4. رسالة ماجستير بعنوان «الخوف في القصص القرآني» للباحث عبد القادر محمد فتحي المطري، منشور في القدس – فلسطين.

ألا أن هذه الدراسات اقتصرت غالباً على الخوف بوجه عام أو على الأنبياء (ع) عموماً، ولم تُخصص تحليلاً تفصيلياً لخوف النبي موسى (ع) من حيث دوافعه ودلالاته وثمراته التربوية، وهو ما يتكامل مع هذا البحث الحالي الذي يُركز على نموذج النبي موسى (ع) محدد في القصص القرآني، ويرتبط بمعالجته في سياق تربوي وتحليلي معمق.

وقد اقتصر عرض الدراسات السابقة في هذا البحث على ما توصلت الباحثة إليه من دراسات متناسبة مع خوف النبي موسى (ع)، مع الاعتراف بوجود دراسات أخرى في الحقل لم تُستوعب كاملاً لأسباب منهجية، إذ رُوعيت الحاجة إلى التخصيص والتركيز على ما يخدم أهداف الدراسة.

وتتجه مشكلة البحث إلى السؤال: كيف يعرض القرآن الكريم خوف النبي موسى عليه السلام، وما دوافع هذا الخوف ودلالاته العقائدية والتربوية، وكيف يمكن فهمه في سياق المقام النبوي والبعد الإنساني للأنبياء؟

ومن خلال الإجابة عن هذا السؤال يُرام تحديد موقع خوف النبي موسى عليه السلام على مسيرة الرسالة النبوية، وبيان أثره التربوي في تهذيب بناء المؤمن العقائدي والتصور الصحيح للسيرة النبوية، وتقوية المصالحة بين البشرية الشريفة والعلو الروحي للأنبياء عليهم السلام.

أما خطة البحث، فقد توزعت المادة على مبحثين رئيسيين وكل مبحث يحتوي على أربعة مطالب وخاتمة ثم ثبت بأهم المصادر والمراجع، وذلك على النحو الآتي:

محتويات البحث:

المبحث الأول: خوف موسى عليه السلام في القرآن الكريم -دراسة تحليلية:

- المطلب الأول: خوف موسى من العقبى (قصة القبطي) في سورة القصص.
- المطلب الثاني: خوف موسى عليه السلام من فرعون وملئه في سورتي الشعراء والزخرف.
- المطلب الثالث: خوف موسى (ع) من الحيّة (انقلاب العصا) في سورتي طه والنمل.
- المطلب الرابع: خوف موسى عليه السلام من تبين السحر (موقف أوجس خيفة) في سورة طه وهذا هو موطن الإشكال الأشهر: كيف يخاف نبي مع أنه يعلم أن الله سينصره؟

المبحث الثاني: دلالات الخوف عند موسى وثمراته التربوية:

- المطلب الأول: الفرق بين الخوف المذموم والخوف المحمود في حقه عليه السلام.
- المطلب الثاني: دلالة الخوف على البشرية ونفي الغلو.
- المطلب الثالث: دلالة الخوف على كمال التوكل (الخوف ثم الرجاء).
- المطلب الرابع: الثمرات التربوية (إعادة النظر في مفهوم الخوف النبوي).

الخاتمة.

أبرز النتائج.

التوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
IJESA
Vol. (5), No. (5) May 2026 الإصدار (5)، العدد (5)

المبحث الأول: خوف موسى عليه السلام في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)

يتجه هذا البحث إلى دراسة خوف النبي موسى عليه السلام الذي بوصفه نموذجاً متكرراً في سياقات قرآنية عدة، مما يقتضي دراسة تحليلية تكشف عن دلالاته وأبعاده في ضوء السياق القرآني.

وقد تناول القرآن الكريم سيرة موسى عليه السلام وقومه بني إسرائيل في مواضع كثيرة، حتى جاءت قصته من أطول القصص القرآنية وأكثرها تفصيلاً لما اشتملت عليه من مواقف وأحداث متنوعة [3]، تكشف عن طبيعة الابتلاءات التي واجهها الأنبياء في تبليغ رسالاتهم النبوية، وتجلى الخوف في قصته القرآنية في مواقف عدة، ارتبطت بمراحل حياته المختلفة وظروف دعوته مما يظهر تنوع دلالاته في مسار الرسالة، بدءً من الخوف بعد حادثة القبطي وخروجه من مصر ومروراً بتكليفه بالرسالة ومواجهته لفرعون وقومه، حيث يتجلى هذا الشعور بحسب اختلاف المواقف والظروف التي مر بها، ويمكن الإشارة إلى أبرزها بإيجاز، منها:

1. الخوف بعد حادثة القبطي وخروجه من مصر، كما في قوله تعالى {أَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ} [4]، فاضطر إلى الهرب فخرج من المدينة، وقد وصفه تعالى مجدداً بقولة {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [5].
2. الخوف عند التكليف بالرسالة ومواجهة فرعون، كما في قوله تعالى {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ*وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ*ولهم عليَّ ذنبٌ فأخاف أن يقتلون} [6]، وعندما أستجاب سبحانه وتعالى له وأرسل معه أخاه هارون عليه السلام، إذ كلاهما يقولان: {إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى} [7].
3. الخوف عند انقلاب العصا حية كما في قولة تعالى {وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ [8]، ويذكر في موضع آخر قوله تعالى وَأَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ * يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ * إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ [9]، قال تعالى خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى} [10].
4. الخوف عند مواجهة السحرة، بعد أن ألقى السحرة حبالهم وعصيهم التي خيل إليه أنها تسعى، كما في قولة تعالى {قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ}[11]، وقبل الانتقال الى التحليل التفصيلي لهذه الآيات في المطالب اللاحقة، يجدر التنبيه إلى أن هذا العرض لا يراد به استقصاء شامل لجميع موارد الخوف في قصة موسى عليه السلام, وإنما الاقتصار على أبرز مواقفه التي سنتناولها تحليلاً.

المطلب الأول: خوف موسى عليه السلام من عاقبة حادثة القبطي في سورة القصص:

تُعد حادثة القبطي من أبرز المواطن التي أشار فيها القرآن الكريم إلى حالة الخوف التي اعترت النبي موسى عليه السلام، وذلك في مرحلة مبكرةٍ من حياتهِ قبل بعثته بالرسالة، وقد وردت تفاصيل هذه الحادثة في سورة القصص ضمن سياقٍ يُصور الواقعَ الذي كان يعيشه بنو إسرائيل تحت حكم فرعون وما اتسم به من استبدادٍ وسطوةٍ ظلم، وتذكر الآياتُ أن موسى عليه السلام تدخل لنصرة أحد المستضعفين من قومه، فوقع القتلُ من غير قصد، الأمر الذي ترتب عليه شعوره بالخوف من عاقبة الحادثة وما قد ينشأ عنها من تبعاتٍ هذا الفعل في ظل سلطة فرعون وبطشه، وعلى هذا الأساس تناول المفسرون هذه الواقعة بالتحليل

---

[3] () ظ: الميزان في تفسير القرآن، ج16، ص41.
[4] سورة القصص، الآية 18.
[5] سورة القصص، الآية 21.
[6] سورة الشعراء، الآيات 12-14.
[7] سورة طه، الآية 45.
[8] سورة القصص، الآية 31.
[9] سورة النمل، الآية 10.
[10] سورة طه، الآية 21.
[11] -سورة طه، الآيات (65-68).

والبيان, محاولين توضيح دلالة الخوف الوارد في الآيات, وبيان عدم تعارضه مع مقام النبوة, مؤكدين أن الفعل الذي صدر من موسى عليه السلام لم يكن عن قصد القتل وإنما وقع في سياق دفع الظلم ونصرة المظلوم.

في هذا السياق تناول عدد من العلماء هذه الواقعة بالتحليل, منهم الشريف المرتضى الذي تعرض لشرح حقيقة ما وقع من موسى عليه السلام في حادثة القبطي, مبينا أن القتل لم يكن مقصودا, وإنما وقع في سياق المدافعة عن المظلوم، ودفع الاعتداء عنه، إذ يقول -بمضمونه إن «موسى عليه السلام لم يتعمد القتل ولا أراده، وإنما اجتاز فاستغاث به رجل من شيعته على رجل من عدوه بغى عليه وظلمه فأراد أن يخلصه من يده ويدفع عنه مكروهة، فآل ذلك إلى القتل من غير قصد إليه، فكل ألم يقع على سبيل المدافعة للظالم من غير أن يكون مقصودا فهو حسن غير قبيح, ولا يستحق عليه العوض به، ولا فرق بين أن تكون المدافعة من الإنسان عن نفسه أو عن غيره في هذا الباب [12]».

ويفهم من كلام الشريف المرتضى أن الفعل الذي صدر من موسى صلوات الله عليه في حادثة القبطي لم يكن مقصوداً به القتل، وإنما كان في سياق دفع الظلم ونصرة المظلوم المعتدى عليه، وهو ما ينسجم مع مقام النبوة وطبيعة الرسالة، ويبين طبيعة الخوف الذي أعقب هذه الحادثة، كما تناول الشيخ الطبرسي هذه الواقعة عند قوله تعالى {... فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ...} [13]، مبيناً أن معنى الوكز: الدفع في الصدر بجمع الكف، وقيل: ضربه بالعصا، وما ترتب عليها من موت القبطي، موضحاً أن ذلك لم يكن عن قصد «القتل وإنما وقع على سبيل تخليص المؤمن من يد من أراد ظلمه والبغي عليه ودفع مكروهة عنه، ولم يكن مقصوداً في نفسه وكل ألم وقع على هذا الوجه فهو حسن غير قبيح، سواء كان القاتل مدافعا عن نفسه أو عن غيره» [14].

ويستمر السياق القرآني في بيان موقف النبي موسى عليه السلام بعد هذه الواقعة، مبيناً ما صدر عنه من توجه إلى الله تعالى وطلب المغفرة، وذلك في قوله تعالى {قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي} [15]، ويبين العلامة الطباطبائي في تفسيره أن قول موسى عليه السلام، لا يراد به الاعتراف بذنب متعمد، وإنما هو إقرار بما ترتب على فعله من دخولٍ في مورد الخطر وإلقاء النفس في التهلكة، ومن هذا المنطلق فالمغفرة المسؤولة في قوله تعالى {فاغفر لي} هو رفع تبعة الفعل، وإنجاء موسى عليه السلام من الغم وتخليصه من شر فرعون وملئه، كما يشير إليه قولة تعالى في موضع آخر: {وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ} **(16)**، ويرى الطباطبائي أيضاً أن هذا الاعتراف بالظلم وطلب المغفرة، ليس إقراراً بمعصيةٍ مقصودة، بل هو نظير ما وقع في قصة آدم وزوجه [17]، في قوله تعالى {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} **(18)**، حيث يظهر من التعبير القرآني أن من سمات الأنبياء عليهم السلام المسارعة إلى التوجه إلى الله تعالى في ما يعرض لهم من مواقف والاعتراف بالحال وطلب المغفرة، ويتجلى ذلك بوضوح في موقف موسى عليه السلام بعد ما أنعم الله عليه بالعفو والنجاة، ثم يتابع الطباطبائي تفسيره لقوله تعالى {قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ} [19]، مبيناً أن هذا الكلام يتضمن عهداً من موسى عليه السلام لله تعالى بألا يكون معيناً للمجرمين بعد ما أنعم الله به عليه من الحفظ والنجاة والعفو والمعنى: أقسم بنعمتك علي أن أتوب وأمتنع فلن أكون ظهيراً للمجرمين والمراد بقوله {بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ} إنعامه تعالى عليه، إذ حفظه وخلصه من قتل فرعون ورده إلى أمه أو إنعامه عليه بقبول توبته من قتل القبطي ومغفرته له بناءً على أنه علم بمغفرة الله تعالى بإلهام أو رؤيةٍ أو نحو ذلك، وأما قوله {فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ}، فقيل: المراد بالمجرمين من يوقع غيره في الجرم، أو من تؤدي إعانته إلى الجرم، كالإسرائيلي الذي خاصم القبطي، فكانت إعانة موسى له سبباً في وقوع جريمة القتل فيكون في لفظ المجرمين مجاز في النسبة من حيث تسمية السبب بالموقع في الجرم مجرمًا [20].

وبعد هذا التعهد الذي صدر من النبي موسى عليه السلام بالبراءة من نصرة المجرمين يبين القرآن الكريم حالته في اليوم التالي للحادثة، حيث يصور السياق ما يعيشه من خوفٍ وترقبٍ نتيجة ما وقع، وذلك في قوله تعالى {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ

---

[12] الشريف المرتضى، علي بن الحسن، تنزيه الأنبياء، ص100.
[13] سورة القصص، الآية 15.
[14] الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج7، ص306.
[15] سورة القصص، الآية 16.
(16) سورة طه، الآية 40.
[17] ظ: الميزان في تفسير القرآن، ج16، ص16.
(18) سورة الأعراف، الآية 23.
[19] سورة القصص، الآية 17.
[20] ظ: الميزان في تفسير القرآن، ج 16، ص17.

فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِين} [21]، ويتابع العلامة الطباطبائي بيان دلالة التعبير القرآني، فيرى أنه يدل على أن موسى عليه السلام بقي في المدينة بعد الحادثة ولم يرجع الى قصر فرعون، والحال أنه كان خائفاً من فرعون يترقب ما قد يحدث ويضيف أن السياق يشير إلى أنه كان ينتظر الشر، فإذا بالإسرائيلي الذي استنصره بالأمس يعود فيستغيث به مرة أخرى رافعاً صوته بالاستصراخ على قبطي آخر، الأمر الذي دفع موسى عليه السلام إلى توبيخه وتأنيبه بقوله {إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} أي إنك لا تسلك سبيل الرشد والصواب لأنك تقحم نفسك في خصوماتٍ ومقومات لا تجر إلا الشر والفتنة [22].

ويلاحظ في السياق القرآني أن التعبير عن هذه الحالة قد ورد بلفظٍ واحدٍ في موضعين من القصة: في قوله تعالى {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ...} [23]، وقوله تعالى {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ...} [24]، مما يدل على استمرار حالة الخوف والترقب التي لازمته بعد حادثة القبطي، وما يترتب عليها من عواقب في تلك البيئة السياسية التي اتسمت بشدة والبطش، ويذكر الفضل بن الحسن الطبرسي في تفسيره لقوله تعالى {... فَخَرَجَ مِنْهَا ...} أن موسى عليه السلام خرج من مدينة فرعون بمصر إلى جهة مدين خائفاً أن يطلب فيقتل، مترقباً الطلب، {فَقَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [25]، من فرعون وقومه، ثم ينقل عن ابن عباس أنه خرج متوجهاً نحو مدين، وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه [26].

فقال: {عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ} [27]، وقد أشار أبو حيان الأندلسي في تفسيره إلى أن موسى عليه السلام لما توجه إلى مدين لم يكن عالماً بالطريق فسأل ربه أن يهديه سواء السبيل؛ أي يهديه الطريق بحيث أنه لا يضل إذ لو سلك ما لا يوصله إلى المقصود لتاه ونقل عن ابن عباس أنه قصد مدين واخذ يمشي من غير معرفةٍ بالطريق فهداه الله إليها حتى وصلها وقيل: إن جبريل عليه السلام لقيه قبل بلوغه مدين وقيل: أخذ الطريق الآمن وهو الطريق الوسط الذي يسلكه إلى مكان مأمنه وهو طريق مدين وقيل: المراد سبيل الهدى، فمشى موسى عليه السلام حتى وصل إلى مدين ولم يكن في طاعة فرعون [28].

ومن خلال هذه الآيات المتقدمة يتبين أن حالة الخوف في قصة النبي موسى عليه السلام لم تكن حالة عارضة، بل امتدت في مراحل متعددة من الأحداث، إذ بدأ الأمر بخوفه بعد حادثة القبطي، ثم تبع ذلك حالة من الترقب والحذر لما قد يترتب على تلك الحادثة من عواقب حتى انتهى بخروجه من مصر خائفاً يترقب، مما يكشف عن البعد الإنساني في القصة القرآنية، ويبرز طبيعة الابتلاء الذي مر به موسى صلوات الله عليه قبل بدء رسالته.

المطلب الثاني: خوف موسى عليه السلام من فرعون وملنه في سورتي الشعراء والزخرف:

يمثل هذا الموقف مرحلة مفصلية في سيرة النبي موسى عليه السلام، إذ يرد تعبيره عن الخوف ضمن سياق التكليف الإلهي المباشر بمواجهة فرعون وملئه، وما قد يترتب على تبليغ الدعوة من تكذيب أو أذى أو تهديدٍ مباشرٍ للحياة، ولا يفهم هذا الخوف كتراجع عن الامتثال بل هو وعي بحجم المسؤولية وخطورة الموقف السياسي متصلاً بتجربةٍ سابقةٍ (حادثة القبطي) في بيئةٍ سياسيةٍ اجتماعيةٍ معروفةٍ بالاستبداد والبطش.

قال تعالى مشيراً إلى خوف النبي موسى عليه السلام عند التكليف: {قالَ رَبِّ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذنب فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ} [29]، فسر الطبرسي في مجمع البيان، خوف النبي موسى عليه السلام من تكذيب فرعون وقومه وضيق الصدر للعقدة التي كانت فيه، والخوف من القتل بسبب حادثة قتل القبطي، خشية أن يقدموا على قتله، ليس خوفاً من تبليغ الرسالة، لعلمه بأن الله تعالى إذا بعث رسولاً تكفل بمعونته على أداء رسالته [30].

(21) سورة القصص، ال آية 18.
(22) ظ: الميزان في تفسير، ج16، ص18.
(23) سورة القصص 18.
(24) سورة القصص، الآية 21.
(25) سورة القصص، الآية 21.
(26) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج7، ص309.
(27) سورة القصص, الآية 22.
(28) الغرناطي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ج8، ص 296.
29() سورة الشعراء، الآية 12-13.
(30) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج7، ص107.

ويأتي الزمخشري في الكشاف، ليبين أن طلب إرسال هارون لم يكن توقفاً في تنفيذ عن الأمر الإلهي، بل يدل على التقبل لا على التعلل، فكان تمهيد لطلب المعين بياناً للعذر في مقام الاستعانة على أداء الرسالة [31].

أما العلامة الطباطبائي ففي الميزان يرى أن كل ما ذكره موسى عليه السلام (التكذيب وضيق الصدر وعدم انطلاق اللسان) يرجع في حقيقته إلى عله واحدة وهي خوف التكذيب وما يترتب عليه من آثار نفسية قد تعوق انطلاق اللسان ولذلك سأل أن يرسل معه هارون ليكون عوناً له على تبليغ الرسالة [32]، ويؤكد ابن عاشور في التحرير والتنوير في تفسير قوله تعالى {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ}، إلى أن خوف موسى عليه السلام لم يكن ناشئاً عن هلعاً وفرقاً من الموت فإنه بعد أن بلغ مقام الرسالة لم يكن يبالي بموته في سبيل الله وإنما خاف أن يكذبوه لعلمه بإن مثل هذه الرسالة لا يتلقاها المرسل إليهم إلا بالتكذيب فكان يخشى أن يكون القتل عائقاً من إتمام الرسالة التي كلف بها مما يجزيه ثواباً جزيلاً ودرج عليه [33].

ومن خلال الآيات المتقدمة يتبين أن الخوف الأولي الذي عبر عنه موسى عليه السلام قبل مواجهة فرعون، تمثل خوفاً من تكذيب قومه، وما قد يترتب عليه من ضيق الصدر، واحتمال التعرض للقتل وهو ما يعكس حالة الخوف النفسي التي سبقت توجهه إلى فرعون لتبليغ الرسالة.

ويؤكد السياق القرآني في الآيات اللاحقة من سورة الشعراء تطور هذه المواجهة بين موسى عليه السلام وفرعون وملئه حيث ينتقل الخطاب من بيان حالة الخوف التي سبقت المواجهة إلى مرحلة الدعوة المباشرة، كما في قوله تعالى {فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [34]، حيث تبدأ ملامح المواجهة العلنية بين موسى عليه السلام وفرعون وقد أشار الطباطبائي في الميزان إلى دلالة التعبير عند تفسير قوله تعالى {إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، مبيناً أن لفظ «رَسُولُ» جاء بلفظ المفرد مع أن المتكلمين اثنان، لأن الرسالة واحدة فاعتبر الرسولان رسولاً واحداً من حيث الرسالة وأن كانا رسولين من حيث الشخص [35]، بعد أن أعلن موسى عليه السلام مضمون رسالته في قوله تعالى {إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، ينتقل السياق القرآني إلى بيان موقف فرعون من هذه الدعوة، إذ حاول صرف مسار المواجهة إلى ماضي موسى عليه السلام ونشأته في بيت فرعون، كما في قوله تعالى {قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ} **(36)**، وهو خطاب يحمل طابع التذكير والتوبيخ بحادثة القبطي، وقد بين الطبري في تفسيره، إذ يذكر أن قول فرعون لموسى عليه السلام {قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ} هو تذكير له بمقامه في بيت فرعون واقامته بينهم قبل حادثة قتل القبطي، ثم أتبع ذلك بقوله {وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [37]، مشيراً بذلك إلى قتله النفس التي قتل من القبط [38]، وقد تناول الشريف المرتضى هذه الآيات في سياق بيان دفع ما قد يرد فيها من إشكال، فذكر أن قول فرعون لموسى عليه السلام {وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ}لا يراد به الكفر بالله وإنما كفران النعمة لأن فرعون كان يعد نفسه مربياً لموسى عليه السلام، كما بين أن قول موسى {قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ} **(39)**، لا يدل على أنه نسب الضلال إلى نفسه، وإنما المراد به عدم قصد القتل [40]، وفسر الزمخشري قوله تعالى {وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ}، بأن المراد به الجهل أو السهو لا الضلال عن الهدى، كما في قوله تعالى على لسان النبي يوسف عليه السلام {لإخوته هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ} [41]، أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل [42].

ويكشف هذا التوجيه عن محاولة تفسير الخطاب القرآني بما ينسجم مع تنزيه الأنبياء عليهم السلام عما قد يوهم نسبة الكفر أو الضلال إليهم، إذ يفسر الطبرسي قول فرعون لموسى عليه السلام: {قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا} يتضمن تذكيره بما كان له عليه من التربية والرعاية منذ صغره، إذ نشأ موسى في بيت فرعون وأقام بينهم سنين طويلة، كما يشير قوله: {وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ

---

[31] ظ: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج4، ص380 -(بتصرف)-.
[32] ظ: الميزان في تفسير القرآن، ج15، ص281.
[33] ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج19، ص107-بتصرف-.
[34] سورة الشعراء، الآية 16.
[35] ظ: الميزان في تفسير القرآن، ج15، ص283.
[36] () سورة الشعراء، الآية 18.
[37] () سورة الشعراء، الآية 19.
[38] الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج19، ص339.
[39] () سورة الشعراء، الآية 20.
[40] ظ: تنزيه الانبياء، ص103-104.
[41] () سورة يوسف، الآية 89.
[42] ظ: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 4ص383.

عُمُرِكَ سِنِينَ} إلى طول المدة التي عاشها موسى بينهم، وقد ذكرت في ذلك أقوال متعددة في تقديرها فقيل ثماني عشرة سنة، وقيل ثلاثون سنة وقيل أربعون سنة، ثم يتبع فرعون ذلك بقوله {وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ} إشارة إلى حادثة قتل القبطي التي وقعت قبل خروجه من مصر، أما وصف فرعون له بقوله {وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} فقد فسر بعدة معان منها كفران بالنعمة والإحسان، أو معناه أنك كنت معنا على ديننا الذي تعيب [43].

ويستمر السياق القرآني في بيان تطور المواجهة بين النبي موسى عليه السلام وفرعون، إذ ينتقل الخطاب من مرحلة التذكير بنشأة موسى في بيت فرعون وما تبعه من تذكير بحادثة القبطي إلى مرحلة التهديد الصريح من قبل فرعون، كما في قوله تعالى {قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} [44]، وأشار الطباطبائي إلى هذا الموضع مبيناً أن تهديد فرعون بالسجن يكشف عن تحول الخطاب من مستوى المجادلة بالحجة إلى مستوى استعمال السلطة والتهديد، إذ لما عجز عن دفع ما أقامه موسى عليه السلام من البرهان لجأ إلى الوعيد بالسجن لإسكات الدعوة ومنع ظهور الحجة لأن موسى عليه السلام كان يواجهه ببرهان رب العالمين، فلما لم يجد فرعون سبيلاً إلى رد الحجة اتخذ أسلوب التهديد وتشبث بالوعيد [45]، ويذكر الطبرسي في تفسيره أن تهديد فرعون بالسجن لموسى عليه السلام جاء بعد أن طال احتجاج موسى عليه السلام وإقامة الحجة، فقال مهددا له {لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ}، أي من المحبوسين، وقد كانوا إذا سجنوا أحداً لم يخرج حتى يموت فلما توعده فرعون بالسجن لم يتراجع موسى عليه السلام عن دعوته بل واجه التهديد بإقامة البرهان فقال {أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ} [46]، أي ولو جئتك بأمر ظاهر تعرف به صدقي وكذبك وحجة بينة تدل على نبوتي [47].

ويظهر من سياق الآيات أن المواجهة لم تتوقف عند حد التهديد بالسجن وإنما انتقل السياق إلى بيان موقف الملأ من دعوة موسى عليه السلام، كما في قوله تعالى {قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ*يأتوك بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ} [48]، وقد أشار الزمخشري إلى معنى هذه الآية بقولهم: {أَرْجِهْ وَأَخَاهُ} معناه أمهله وآخر أمره وأمر أخيه إلى وقت اجتماع السحرة ومناظراتهم, وقوله {وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ} أي أرسل من يجمع السحرة من مختلف الأمصار ويأتون بهم وقد عبروا بقولهم {بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ} على سبيل المبالغة في الوصف ليطامنوا من نفسه ويسكنوا قلقه [49]، ولا يختلف تفسير الطباطبائي عن هذا المعنى إذ يرى أنهم طلبوا الإحاطة بجميع السحرة واستدعاء أعلمهم بفنون السحر طمعاً في القدرة على معارضة معجزة موسى عليه السلام [50].

ولا يقتصر فهم طبيعة المواجهة بين موسى عليه السلام وفرعون على الآيات المتقدمة في سورة الشعراء، لقد أشار القرآن الكريم إلى جانب من هذه المواجهة في موضع آخر ولا سيما في سورة الزخرف، إذ تكشف الآيات عن ملامح الاستعلاء السياسي الذي كان يمارسه فرعون في قومه وسعيه إلى تثبيت سلطانه من خلال تضليلهم والاستخفاف بعقولهم، كما في قوله تعالى: {وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ* فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ *فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ *فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ} [51].

تتحدث هذه الآيات عن طبيعة البيئة السياسية المتسلطة التي واجهها النبي موسى عليه السلام في مسيرة تبليغ الرسالة، وقد أشار الزمخشري إلى هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى: {وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ}، مبيناً أن فرعون أمر منادياً ينادي في مجامع الناس وأماكنهم، فعدد أمامهم أسباب الفضل والتقدم عليهم متمثلاً في ملك مصر وجري الأنهار من تحته، حتى ملأ به مسامعهم ثم قال أنا خير من {أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ} أي ضعيف وحقير {وَلَا يَكَادُ يُبِينُ} ولا يملك ما يعتد به من العدد والآت والملك والسياسة، وارد بإلقاء الأسورة عليه وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة، وكانت الأنبياء كلهم

---

[43] الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج7، ص237.
[44] سورة الشعراء: الآية 29.
[45] ظ: الميزان في تفسير القرآن، ج15، ص296.
[46] سورة الشعراء، الآية 30.
[47] ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج7، ص238.
[48] سورة الشعراء، الآية 36-37.
[49] ظ: الكشاف، ج4، ص389.
[50] ظ: الميزان في تفسير القرآن، ج15، ص298.
[51] سورة الزخرف، 51-55.

أنبياء بلغاء، كما أن قوله {فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ} [52]، إشارة إلى ما كان عندهم من عادة تسويد الرجل وتكريمه بإلقاء السوار أو تطويقه بالذهب، فوازن فرعون بذلك بينه وبين موسى صلوات الله عليه بالملك والعزة في مقابل وصفه لموسى عليه السلام بالضعف وقلة أعضاده وأنصاره [53] ويؤيد العلامة الطباطبائي هذا المعنى إذ فسر قوله تعالى {أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ} بأن الظاهر من الاقتران هو المصاحبة على نحو التقارن والاستواء بمعنى التسابق والتساوي، أي أن تأتي الملائكة مع موسى عليه السلام متقارنة معه لتصديق رسالته، ويشير إلى أن هذا التعبير قد تكرر على لسان مكذبي الرسل كما في قولهم {لولا أُنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً} [54]، مبينا أن فرعون استخف بعقول قومه وأحلامهم حتى انتهى الأمر إلى طاعتهم له كما في قوله تعالى: {فاستخف قومه فأطاعوه} [55]، ويبين الطبرسي أن فرعون احتج على قومه بما ليس بدليل وهو قوله {أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓ} [56]، ولو كان قومه يعقلون لعلموا أن ملك الإنسان ليس دلالة على أنه محق وليس يجب أن يأتي مع الرسل ملائكة لأن الذي يدل على صدق الرسل هي المعجزة دون غيرها، ثم أخبر الله تعالى عنهم {بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ} [57]، أنهم أطاعوه لانقيادهم له وخروجهم عن طاعة الله تعالى [58].

ويكشف السياق القرآني عن طبيعة السياسة التي انتهجها فرعون في مواجهة النبي موسى عليه السلام حيث اعتمد أسلوب الاستعلاء وإظهار سلطانه بين قومه واستمالتهم إلى طاعته حتى انتهى الأمر إلى انقيادهم له واستخفافه بعقولهم، وهو ما مهد لاستحقاقهم العقوبة الإلهية التي عبر عنها القرآن بقوله فَلَمَّآ {ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ} [59]، يبين الشيخ الطوسي أن معنى أسفونا أي أغضبونا لأن الله تعالى يغضب على العصاة بمعنى إرادة عقابهم، وقيل الأسف هو الغيظ من المغتم بمعنى الغضب ثم يبين نتيجة ذلك إذ قال تعالى {فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ}، أي انتقمنا منهم بالإغراق وجعلهم عبرة لمن يأتي بعدهم، كما في قوله تعالى {فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ} [60]، متقدمين ليتعظ بهم الآخرون [61].

ومن خلال ما تقدم يتضح أن الخوف الذي عبر عنه النبي موسى صلوات الله عليه في سياق مواجهته لفرعون لم يكن ناشئاً عن ضعف في اليقين أو تراجع عن أداء الرسالة وإنما يعكس إدراكاً واعياً لطبيعة البيئة السياسية التي واجه فيها الدعوة والتي اتسمت بالاستبداد والبطش، وقد كشفت آيات سورتي الشعراء والزخرف عن تطور هذه المواجهة من مرحلة الخوف المرتبط بتوقع التكذيب والأذى إلى مرحلة المواجهة العلنية القائمة على الحجة والبرهان في مقابل خطاب فرعون القائم على الاستعلاء والاستخفاف بعقول قومه، ويؤكد المفسرون أن هذا الخوف لا يتعارض مع مقام النبوة بل يندرج ضمن البعد الإنساني في مسار الرسالة وما يكتنفها من تحديات واقعية في مواجهة الطغيان لينتهي السياق بانكشاف زيف خطاب فرعون واستحقاقه وقومه العقوبة الإلهية.

المطلب الثالث: خوف موسى عليه السلام من الحية (انقلاب العصا) في سورتي طه والنمل:

يتجلى خوف موسى عليه السلام في سياق انقلاب العصا إلى حية، وهو من أبرز المشاهد القرآنية التي تظهر البعد الإنساني في شخصية النبي مع الحفاظ الكامل على مقام النبوة، وقد ورد هذا الحدث في مواضع متعددة من القرآن الكريم، حيث يكمل بعضها بعضاً في تصوير المشهد وبيان أبعاده التربوية والدلالية.

سياق الحدث في سورة طه: التهيئة والمعجزة الأولى:

يبدأ عرض القصة في سورة طه بتهيئة ظرف الحدث قبل وقوع المعجزة، إذ كان موسى عليه السلام في طريقه من مدين إلى مصر في ظلمة الليل يبحث عن الأنس والهداية، فرأى نارا {فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ

(52) سورة الزخرف، الآية 53.
(53) ظ: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج5، ص449-450.
(54) سورة الفرقان، الآية 7.
(55) ظ: الميزان في تفسير القرآن، ج18، ص117.
(56) سورة الزخرف، الآية 51.
(57) سورة الزخرف، الآية 54.
(58) الطبري، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج9، ص67.
(59) سورة الزخرف، الآية 55
(60) سورة الزخرف، الآية 56.
(61) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج9، ص179.

عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى} [62]، أشار السيد الطباطبائي في الميزان إلى أن رؤية النار كانت في حال سفره مع أهله من مدين الى مصرفي ليلةٍ شاتيةٍ مظلمةٍ بالقرب من وادي طوى في طور سيناء حيث ضلوا الطريق فرأى ناراً ليذهب إليها يسأل عن الطريق أو يأخذ قبساً منها ليدفئ به أهله ويمضي في تحليل قوله تعالى {قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ} بدلالته على كونه مع أهله وتعبيره ب {ءَانَسْتُ نَارًا} بأنه هو الذي رآها وحده دون غيره كما وقوله {لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى} بقصد الهداية لا الإقامة ثم يتابع السياق فيقول {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ [63]، ويفهم من السياق أن المتكلم هو ربه إذ صرح القرآن الكريم بأن الوحي لا يكون إلا بقوله {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} [64]، ولم يكن هناك حجاب ولا رسول فيتعين أن النداء مباشر من الله سبحانه، لا يحمل على القوة النظرية بل هو تلقٍ مباشر من الغيب بغير واسطة وفي التعبير ب {نودي} مع حذف الفاعل يحمل لطف ما لا يقدر بقدرٍ وتلويح بأن النداء وقع على سبيل المفاجأة [65]، فتظهر حالة الانفعال الإنساني أولاً ثم تعالج بالخطاب الإلهي.

يظهر أول مشهد انقلاب العصا في قوله تعالى: {قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ} [66]، هذا الموضع يجسد المفأجاة الأولى لهذا التحول الخارق وقد بين محمد علي الصابوني أن قوله تعالى{فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ} يدل على انقلاب العصا فجأةً إلى حيةٍ عظيمةٍ تتحرك بغاية السرعة، وأن الأمر الإلهي {ولا تخف} جاء تطميناً لموسى عليه السلام بعد ما اعتراه من خوفٍ فطري عند رؤية هذا المشهد العجيب الهائل وهو ما يلحق البشر عند رؤية الأهوال والمخاوف ولا سيما أمرٍ يذهل العقول، كما أن إظهار هذه الآية كان تأنيساً له بهذه المعجزة الهائلة قبل مواجهته لفرعون حتى لا يفزع إذا ألقاها عنده لأنه قد تدرب عليها واعتادها وقوله تعالى {خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ}، أي ستعود كما كانت عصا لا حية [67]، فيطمئن قلبه ويتضح أن الخوف كان ناشئاً من عنصر المفاجأة لا ضعفاً في ثقته بالله تعالى.

تجلي الخوف في سورة النمل: الرد الفعل والتثبيت الإلهي:

يتجلى هذا المعنى بصورةٍ أوضح في سورة النمل حيث يقول تعالى {وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ} [68]، بين الصابوني أن {فلما رآها تهتز كأنها جان} أي رآها تتحرك حركة سريعة كأنها ثعبان خفيف سريع الجري فولى مدبراً ولم يعقب أي ولى هارباً ولم يرجع عقبه لما دهاه من الخوف والفزع ولم يلتفت إلى ما رأى أمراً هائلاً هو انقلاب العصا حية تسعى، وهذا من طبع البشر عند رؤية أمرٍ مهولٍ ثم أعقب ذلك النداء الإلهي {يا موسى لا تخف} أي أقدم ولا تخف لأنك بحضرتي ومن كان في حضرتي فهو آمن، وقوله {إنه لا يخاف لدي المرسلون} يفهم منه أنه قد صار من جملة الرسل الذين اصطفاهم للنبوة فلا يخافون غيرهُ، نبه في هذا الموضع على أن من آمنه الله بالنبوة من عذابه لا ينبغي له أن يخاف [69]، كما يشير النيسابوري إلى أن الاختصار في {لا تخف} جاء تمهيداً لبيان {إني لا يخاف لدي المرسلون}، المدل على مقام الأمن لما لهم من مزيد فضل الله تعالى وعنايته، فالخوف لا يستقر في حقهم بل هو حالة عارضة تزول بالتأييد الإلهي وربط ذلك بما وقع لموسى عليه السلام من قبل في حادثة القبطي إلا أن العناية الإلهية والمغفرة ترفعان أثر هذا الخوف [70] وتعيدانه إلى مقام الطمأنينة فيبقى الأمن ثابتاً في حقه وهو كما بين السيد الطباطبائي أنه تأمين بمعنى أنك مرسل والمرسلون آمنون لدي وليس في ذلك من العتاب ولا التوبيخ في شيء بل تعليم رسالي وتأديب وتربية تأمينه لموسى عليه السلام بأن مقام القرب الالهي هو مقام أمن وهم محفوظون في ظل الرعاية الإلهية، فينتقل موسى عليه السلام من الخوف الفطري الى طمأنينة الرسالة.

وفي موضع آخر، يصف القرآن المشهد بتفصيلٍ: يقول تعالى {وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ

---

[62] سورة طه، الآية 10.
[63] سورة طه، الآية 11.
[64] سورة الشورى، الآية 51.
[65] ظ: الميزان في تفسير القرآن، ج14، ص137-138.
[66] سورة طه، الآية من 19-21.
[67] ظ: صفوة التفاسير، ج2، ص232.
[68] سورة النمل: الآية 10.
[69] ظ: صفوة التفاسير، ج2، ص403.
[70] النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج5، ص294.

يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ} [71]، يفصح النص القرآني عن عنصر المفاجأة المصحوب بسرعة الحركة المخيفة والمضطربة بانقلاب العصا حية عظيمة هائلة كبيرة، فلما رآها تهتز عبر عنها بقوله {تهتز كأنها جان} وبين السيد الطباطبائي أن التشبيه بالجان إنما وقع من جهة سرعة الحركة والاهتزاز لا من جهة حقيقة العصا ذاتها إذ الثعبان حية عظيمة الجثة هائلة المنظر يهتز وتتحرك بسرعة اهتزاز الجان، بينما الجان حية صغيرة سريعة الحركة والإدبار فكان وجه الشبه من جهة الحركة والاضطراب لا من جهة الذات [72]، وفسر وهبة الزحيلي قوله {ولى مدبرا ولم يعقب} بأنه ولى هارباً منها خوفاً على نفسه فلم يرجع عقبه ولم يلتفت وراءه من شدة ما اعتراه من خوفٍ مفاجئ غير مكلفٍ، غير أن الخطاب الإلهي جاء مباشرةً لمعالجة هذه الاستجابة الفطرية [73]، بقوله {يا موسى أقبل ولا تخف أنك من الآمنين}، و{إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ} [74]، ومن خلال ذلك يتبين أن الخوف في هذا الموضع ليس نقصاً في الإيمان بل هو المرحلة الأولى لبيان مقام الرسالة محفوظ، وأن الموقف موقف إظهار معجزة لا موضع قدح في النبوة.

فإن فرار موسى عليه السلام لم يكن ناشئاً عن ضعف اليقين، بل جرى وفق ما جبلت عليه الطبيعة الإنسانية عند مفاجأة المخاطر العظيمة التي لا سبيل إلى دفعها إلا الفرار؛ فإنه فوجئ بتحول العصا إلى مشهد هائل يهتز بسرعةٍ، ولم يكن قد ورد عليه نهي سابق أن يلزم مكانه عن الفرار ولا أمر الثبات في موضع المشهد، فكان فراره طبيعياً، لا جبناً مذموماً حتى يذم عليه [75].

في المجمل، خوف النبي موسى عليه السلام كان مفاجأةً فطريةً لحدثٍ خارقٍ هائلٍ أعقبته تثبيت إلهي مباشر {إنك من الآمنين} و{لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ} فأنتقل من الخوف الطبيعي إلى طمأنينة الرسالة الثابتة مؤكداً أن القرآن الكريم يقر بوقوع الخوف الفطري عند الأنبياء في لحظة المفاجأة غير أنه لا يتركه دون توجيهٍ بل يعالجه بالتربية الإلهية فيرتقي بالأنبياء إلى مقام الأمن والاطمئنان عبر خطاب التثبيت، وهكذا يتحول الخوف من انفعال طبيعي إلى مقام تربوي يبين عناية الله بأنبيائه وثباتهم في مقام النبوة.

المطلب الرابع: خوف موسى عليه السلام من تبين السحر:

موقف «أوجس خيفة» في سورة طه وهذا هو موطن الإشكال الأشد:

يشير هذا الموضع إلى خوف موسى عليه السلام في مواجهة سحرة فرعون، حين يفاجأ بظهور سحرهم وما يترتب عليه من تأثير في نفوس الناس، وهذا هو أكثر المواضع إثارة للإشكال الكلامي، إذ يوهم ظاهر الآية الكريمة نسبة خوفٍ إلى النبي موسى عليه السلام في مقام المواجهة، فيتفسر: كيف ينسجم هذا الخوف مع مقام النبوة وثبات اليقين؟

يختلف هذا الموضع عن خوف انقلاب العصا الذي تم بيانه في المطلب السابق إذ كان الأول ناشئاً عن المفاجأةٍ حسيةٍ أولى لمشهد لم يألفه من قبل بخلاف خوفه في هذا الموضع، يرتبط الخوف ببعد أوسع يتصل بمقام الرسالة ووظيفتها ويتجلى في موقف المواجهة مع السحرة وما يرتبط به من تأثير محتمل في تلقي الناس للمشهد، يقول الله تعالى مبيناً السياق: {قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ *الَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ} [76].

يبين محمد علي الصابوني في «صفوة التفاسير» أن سحرة فرعون خيروا موسى عليه السلام بالإلقاء أولا فأمرهم بالبدء ليظهروا أقصى جهدهم وقصارى وسعهم، فرموا حبالهم وعصيهم فبدت كالحيات تتحرك وتسعى على بطونها بفعل السحر مما أوجس خيفة في نفس بمقتضى الطبيعة البشرية [77]، فالآيات القرآنية تثبت جواز الخوف الفطري للأنبياء، فلولا ذلك لم يكن للوحي الإلهي {قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ} معنى ولا حاجة، ويذهب الشريف المرتضى في بيانه إلى إن نسبة الخوف إلى النبي لا يدل على شك في صدق المعجزة بل خشية التباس الأمر على الناس بسبب قوة التخييل السحري حتى خيل للناظر كأن

---

[71] سورة القصص: الآية:31.
[72] ظ: الميزان في تفسير القرآن، ج15، ص375-376.
[73] ظ: وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، ج2، ص1867.
[74] سورة النمل، الآية 10.
[75] ظ: الميزان في تفسير القرآن، ج16، ص32، ج15، ص377(بتصرف).
[76] سورة طه، الآيات (65-68).
[77] ظ: تفسير القرآن الكريم، ج2، ص239.

الحبال والعصي حيات تسعى، الأمر الذي أوجب مفاجأة مخيفة أمام هذا التحول الظاهر [78] قبل أن يدركه خطاب التثبيت الإلهي، ويؤكد الشيخ السبزواري هذا بقوله إن المراد حصول خوفٍ في قلب موسى عليه السلام من التباس الأمر على الناس فيتوهمون مساواة فعله بفعل السحرة فلا يبتغوه ويتبعوا دعوته [79]، وهو ما يفهم منه أن خيفة موسى عليه السلام لم تكن ناشئة من رهبة ذاتية وإنما خيفة قلبية من أن يختلط الأمر على الناس في إدراكهم الحقيقة فيتوهموا أن فعل السحرة وفعله واحد، الأمر الذي قد يفضي إلى انصرافهم عن اتباع الحق، كما يؤيد هذا الفهم ما أشار إليه الزمخشري في تحليله اللغوي لمفردة «أَوْجَسَ» إذ قال إن الإيجاس هو إضمار شيء من الخوف في النفس على وجه خفي يسير، إذ يدل على شعور داخلي يقع عارضاً بمقتضى ما تفتضيه الجبلة البشرية عند وقوع المفاجأة دون أن يبلغ مرتبة الخوف الجلي الظاهر، وقيل أيضاً إنه خاف أن يخالج الناس فيظنوا شكاً فيه فلا يتبعوه [80]، وقد سار البيضاوي في الاتجاه نفسه فذكر أن الخوف كان ناشئاً عن مقتضى الجبلة البشرية خوفاً من أن يخالج الناس شك في أمره فلا يبتغوه ويتبعوه [81]، ويضيف ابن عاشور إلى أن حرف (إذا) يدل على مباغتة وقوع الحدث، وهو ما يفسر ظهور الخيفة في موضعه نتيجة تلك المفاجأة مبيناً أن السحر الذي رآه الناس كان تخييلا تحت تأثير السحر حتى خيل إليهم بأن حبالهم وعصيهم تسعى وأنها من جنس انواع الحيات والثعابين، فلذلك بادروا بالإلقاء خشية زوال أثر سحرهم [82].

ويفهم من هذا التفسير أن الخيفة لم تنشأ عن خوف ذاتي وإنما جاءت تبعاً لما أحدثه المشهد المفاجئ من تخييل بصري عظيم قبل أن ينكشف زيفه ويكشف الله عن حقيقة المعجزة، وهو ما ينسجم مع ما ذهب إليه الطباطبائي في «تفسير الميزان» إذ تناول الآية بالرجوع إلى الدلالة اللغوية لمادة «وجس» ناقلاً تعريف الراغب الاصفهاني بأنها الصوت الخفي والتوجس التسمع والإيجاس وجود ذلك في النفس كما في قوله {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ} وبناء على هذا التعريف اللغوي بين العلامة حقيقة الإيجاس الوارد في الآية قائلاً: فالوجس هو حالة تحصل من النفس بعد الهاجس لأن الهاجس مبتدأ التفكير ثم يتبعه الواجس وهو الخاطر، فالإيجاس إحساس خفي في النفس لا يظهر أثره على ظاهر البشرة إنما هو خاطر يعرض للنفس من غير إذعان به [83].

وعليه، فالخيفة التي أوجسها في نفسه كانت إحساساً آنياً يخطر في قلب النبي عقب ما تخيل إليه من عظمة وحركة سحرهم وهو كنفس الخاطر لا أثر له في الخارج ولا يعد تردداً في العقيدة، بل تهيؤا نفسياً عارضاً يزول بمجرد الإعلان الإلهي، ومن جهة أخرى ورد في بعض التفاسير أن من قال: إن خوفه كان خوف التباس الأمر على الناس فلا يميزوا بين آيته وسحرهم، فيشكوا ولا يؤمنوا ولا يتبعوه، ولم يكن يعلم بعد أن عصاه ستلقف ما يأفكون [84].

فإن في ذلك تنافيا مع ثباته في وثوقه بأمر الله تعالى، وقد قال له ربه قبل ذلك {... بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ} [85]، فيكون من قبيل المحاولة في تفسير يخالف ظاهر النص وعليا المقام، وقيل أيضاً: إنه خاف أن يتفرق الناس بعد رؤية سحرهم قبل أن يلقي عصاه غير أن هذا الوجه لا ينسجم مع ظاهر تفريع قوله تعالى {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ}، على قوله {فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ}، إذ الظاهر أنه خاف بما خيل إليه من سحرهم، لا خاف من تفرق الناس قبل أن يظهر معجزته ولو كان خوفه من ذلك لما أذن لهم بإلقاء حبالهم وعصيهم أولا، كما أن هذا الوجه لا يلائم قوله تعالى {قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ} إذ لو كان خوفه من تفرق الناس لقيل له «لا تخف لا ندعهم يتفرقون حتى تلقي عصاك» بينما الخطاب جاء على لسان القوة والعلو لا على لسان حماية من التفرق، ولهذا يظهر من إيجاسه عليه السلام أن السحرة ما شابه آيته المعجزة أو قاربها في نظر الناس، وإن كان ما أتوا به سحرا لا حقيقة له وما جاء به موسى عليه السلام آية معجزة ذات حقيقة وقد وصف الله سحرهم بقوله {سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ} [86]، ولذا أمر بإلقاء العصا لتلقف

---

(78) علي بن الحسين، تنزيه الأنبياء، ص106.
(79) محمد، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، ص321.
(80) محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج3، ص74، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هت(528).
(81) البيضاوي، عبد الله بن عمر، انوار التنزيل، ج4، ص32.
(82) محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج16، ص147.
(83) ظ: الميزان في تفسير القرآن، ج14، ص177.
(84) م. ن ج14، ص178.
(85) سورة القصص، الآية 35.
(86) سورة الأعراف، الآية 116.

جميع ما صنعوا إظهارا لعلو الحق وبطلان كيد السحرة, إذا لا حقيقة لهذا السحر والحق يعلو ولا يعلى عليه[87] كما يبين صاحب الظلال في تفسير الآية {لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ}، مع موسى الحق والعقيدة والإيمان بصدق وثيقة، ومع السحرة الحرفة والأجر ومعهم من الخدمة لطاغية مهما كان جبارا وأنت متصلاً بالقوة الكبرى وهم مرتبطون بعبودية مخلوقاً بشرياً فانياً [88]، فهذا التطمين الإلهي يحمل في طياته دلالة قوية على علو الحق وثبات رسالة النبي موسى عليه السلام ورفع كل خوف ناشئ من ضعف ظاهر وتحوله إلى خوف مخل وتضرع يرفع بقوة اليقين والوحي.

في المجمل، خوف موسى عليه السلام في هذا الموضع كان حالة إدراك آنية مرتبطة بظاهر الحس سرعان ما زالت بظهور المعجزة وانكشاف بطلان السحر بما ينسجم مع ثبات اليقين الإلهي ومقام النبوة في ظل التطمين الإلهي وعظمة مقام النبوة وارتفاع الخوف في ظل التطمين والتعزيز الإلهي، فتكون الآية خاتمة تأكيدية، تنظف النفس الإنسانية من أي توجس وترفعها إلى مقام يعلان فيه {قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ} دلالة واضحة على أن خوف الأنبياء في مواضع الإيحاء القرآني إنما هو خوف فطري عابر تعالجه التربية الإلهية وترتقي به إلى مقام الأمن والطمأنينة فيظل محفوظاً في قلب موسى عيه السلام وعند سائر الأنبياء عليهم السلام مقام النبوة سليما من النقص وعاليا فوق كل خوف.

المبحث الثاني: دلالات الخوف عند النبي موسى عليه السلام وثمراته التربوية

يتبين من مواطن الخوف المذكورة في القرآن الكريم أنه لم يكن على نحو واحدٍ، بل تنوعت دوافعه بحسب المقام الذي وقع فيه، فتارةً يكون خوفاً طبيعياً ناشئاً عن مراعاة الأسباب الظاهرة والاحتياط لها كما في خروجه من مصر بعد حادثة القبطي، حيث قال تعالى {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} [89]، فهذا الخوف إنساني يجري في إطار الأخذ بالأسباب المعقولة، وهو يعكس حكمة الحذر دون تعارضٍ مع اليقين، وتارة أخرى يرتبط الخوف بخشية الالتباس على الناس قبل ظهور الحق كما في موقفه مع سحرة فرعون حيث قال تعالى {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ} [90]، فالسياق هنا يبين أن هذه الخيفة لم تكن مجرد خوفٍ على النفس ذاتها بل كانت خشية من اختلاط الأمر على الناس قبل ظهور المعجزة المبينة.

وفي هذا العرض القرآني بعد تربوي واضح، يتمثل في تصوير الحالة النفسية للأنبياء في لحظة الانفعال البشري ثم اتباعها بالتثبيت الإلهي المباشر، فالقرآن الكريم لا يتجاهل البعد الإنساني للأنبياء بل يبينه ليعلم أن الطمأنينة الحقيقية لا تنبع من زوال دواعي الخوف، بل من تأييد الله تعالى ورعايته المستمرة.

وهكذا، يتكون لدى النبي والمؤمن شخصية متوازنة تجمع بين الحذر العقلي المشروع والاطمئنان القلبي المتأسس على التوكل على الله تعالى، فالخوف هنا ليس ضعفاً بل بعد إنساني يرفع بالتربية الإلهية إلى مقام الكمال النبوي.

المطلب الأول: الفرق بين الخوف المذموم والخوف المحمود في حقه عليه السلام:

إن الخوف باعتبار آثاره ونتائجه ليس على درجة واحدة، بل ينقسم إلى خوفٍ محمودٍ، وخوفٍ مذمومٍ وهو تقسيم تؤيده النصوص القرآنية وتدعمه تحليلات العلماء، وعند تطبيق هذا التقسيم على موارد الخوف في قصة النبي موسى عليه السلام، يتضح أن الحكم علي، لا يستقيم إلا من خلال ملاحظة سياقاته وملابساته إذ تختلف دلالته باختلاف ما يحيط به من ظروف ودوافع.

الخوف المحمود في حق النبي موسى عليه السلام: يعرف ابن القيم الجوزية الخوف بأنه الانخلاع من طمأنينة الأمن بتوقع مكروهٍ، وهو يتفاوت درجاته فأوله خوف العامة يتولد من تصديق الوعيد ومراقبة العاقبة، وثانيه خوف أهل اليقظة، القائم على دوام الحذر من التقصير وسلب الطاعة أو يبتلى بالغفلة، مع ملاحظة تقلب أحواله في حال اليقظة المشوبة بالحلاوة، وثالثه خوف الخاصة، وهو الخوف القائم على هيبة الجلال وزوال القرب وهو غاية الخوف.

---

[87] ظ: الميزان في تفسير القرآن، ج16، ص177-179.
[88] ظ: قطب، في ظلال القران ج4، ص2342.
[89]() سورة القصص، الآية 21.
[90]() سورة طه، الآية 67.

فالخوف المحمود الصادق هو الذي «ما حال بين صاحبه وبين محارم الله في حين يتحول الى خوف مذموم إذا تجاوز حده فأدى إلى اليأس والقنوط» [91]، مما يدل على أن الخوف ليس مذموماً مطلقا بل بحسب أثره، فالخوف المحمود هو ما كان باعثاً على الحذر، ودافعاً إلى أداء التكليف، ومقروناً بالرجاء والتوكل، كما في قوله سبحانه {... يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ...} [92]، فبهذا الخوف يتحقق كمال العبودية، إذ يربط العبد بمراقبة الله ومحاسبة النفس.

ويؤكد السيد أبو القاسم الخوئي في «البيان في تفسير القرآن»، أن من دواعي العبادة الخوف من العقاب على المخالفة، مستشهداً بقوله تعالى: {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [93]، فالخوف إذا كان باعثاً على الامتثال فهو مطلوب شرعاً [94]، وفي قصة موسى عليه السلام يتجلى هذا الخوف المحمود في طلبه معونة أخيه هارون، قال تعالى {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ} [95] فهذا الخوف لم يكن معطلاً للرسالة بل كان دافعاً إلى استكمال مقتضياتها لا فراراً عن تحمل أعباء الرسالة، لذلك طلب النبي بأن يكون أخوه هارون عليه السلام شريكاً له في أمر الدعوة ومعيناً له على بيان صدق رسالته عند مواجهة التكذيب حيث لما يتمتع به من فصاحة تعين على إيضاح الحجة وتقوية جانب التبليغ [96]، وجاء التطمين الإلهي مؤكدا ذلك {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ} [97]، كما يشمل الخوف المحمود الخشية من مقام الله التي تمنع صاحبها عن المعصية وتبعثه على التقرب إليه وابتغاء مرضاته بوصفه خوفاً من مقامه كما قال تعالى {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} [98]، وقوله تعالى {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} [99]، وكذلك قوله عز وجل {..ذلك لمن خَافَ مَقامي وخاف وَعِيدِ} [100]، ويبين القرطبي أن المراد من خافه مقام ربه يوم القيامة فترك المعصية [101]، فالخوف هنا عنصر فاعل في تقويم السلوك وضبطه، ومن ثم لا يخرج عن إطار التجربة الإنسانية التي تُستكمل بالتطمين والتوكل.

الخوف المذموم المنتفي عن النبي موسى عليه السلام: أما الخوف المذموم فهو ما كان باعثاً على التراجع عن الحق أو الخضوع لضغط الناس أو الشيطان، فهو حالة سلبية تخرج عن حد الاعتدال يفرق العلامة الطباطبائي بين الخوف بوصفه حالة عقلانية قائمة على الأخذ بمقدمات التحرز عن الشر وبين ما قد ينقلب إلى حالة اضطراب وضعفٍ ينافي فضيلة الشجاعة فعندئذ يكون مذموماً [102]، وينهي القرآن الكريم صراحة عن هذا الخوف المذموم مقروناً بالتحذير من صوره ومن أبرزها الخوف من الشيطان كما في قول تعالى: {إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كنتم مؤمنين} [103]، وقد أشار الماوردي إلى أن الشيطان يلقي الخوف في قلوب المؤمنين من أوليائه المشركين أو يخوف أولياء المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين [104]، وينشر الخوف في صدور الذين لا يحتاطون لوسوسته [105]، إذ يخوف الشيطان بأوليائه يتخذها وسيلة لإضعاف المؤمنين وإلقاء الوهن في نفوسهم ليحملهم على ترك الطاعة أو التردد في الامتثال، فإن هذا النمط من الخوف يعد خوفاً مذموماً لأنه يبعد الإنسان عن الله تعالى ويوقعه في الخضوع لغيره [106]، ومن صوره كذلك الخوف من الأعداء إذا أدى إلى الوهن والتخاذل كما حذر الله تعالى منه في قوله {ألا تقاتلون قوما نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَـٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ * أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍ

---

(91) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج1\ص551-552.
(92) سورة السجدة، الآية 16.
(93) سورة الأنعام، الآية 15.
(94) الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، البيان في تفسير القرآن، ص476.
(95) سورة القصص، الآية 34.
(96) ظ: الميزان في تفسير القرآن، ج16، ص35.
(97) سورة القصص، الآية,35.
(98) سورة النازعات، الآية 40.
(99) سورة الرحمن، الآية 46.
(100) سورة إبراهيم، الآية 14.
(101) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12\116.
(102) ظ: الميزان في تفسير القرآن، ج14، ص144.
(103) سورة آل عمران، الآية 175.
(104) علي بن محمد بن حبيب، النكت والعيون ج1, 438.
(105) ظ: قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص521.
(106) السبزواري، عبد الأعلى الموسوي، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج7، ص75.

أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [107]، وفي قوله تعالى {فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ} [108]، والخوف من الموت إذا أدى إلى الفرار أو التراجع عن الجهاد كما في قوله تعالى: {قُلْ لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ}[109]، فالنهي القرآني يروم تصحيح جهة الخوف وضبطها بصرفها عن الناس إلى الله تعالى وحده بحيث لا تتحول إلى عامل مؤثر في إرادة الإنسان.

على ضوء ذلك يتضح أن نمط الخوف المذموم هو ما نفاه القرآن عن الأنبياء عموماً، ويتأكد نفيه في حق موسى عليه السلام خصوصاً، إذ لم يؤد إلى ترك الحق أو تعطيل الرسالة في أي موضع، بل كان منضبطاً في إطار الإيمان، دافعاً إلى الاستعانة بالله تعالى واستكمال مقتضيات الدعوة، لهذا فإن موارد الخوف عند موسى عليه السلام لا يندرج ضمن دائرة الخوف المذموم، وهو ما يكشف عن كونه خوفاً محموداً من حيث آثاره ونتائجه.

المطلب الثاني: دلالة الخوف على البشرية ونفي الغلو في حق موسى عليه السلام:

نسبة الخوف إلى الأنبياء عليهم السلام في الخطاب القرآني لا تفهم في إطار النقص أو الإخلال بمقاماتهم بل تمثل بعداً إنسانياً مقصوداً يكشف عن حقيقة بشرية الأنبياء عليهم السلام التي أراد القرآن الكريم إظهارها بوصفه إياهم بشراً اصطفاهم الله للرسالة، فهو ينفي في الوقت نفسه كل صور الغلو التي قد ترفعهم عن مقام العبودية، ويؤكد التوازن بين البعد البشري والاصطفاء الإلهي في شخص النبي إذ هم عباد مكرمون لا يخرجون عن حدود البشرية، كما في قوله تعالى {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ...} [110]، يفهم من كلام السيد الطباطبائي أن الآية تفيد قصر حقيقة النبي في كونه بشراً مماثلاً للناس فلا يزيد عليهم بشيء من جهة أصل البشرية ولا يدعي لنفسه علماً أو قدرة غيبية ولا يقدر على ما لا يقدر عليه غيره إلا أنه يوحى إليه وهو ما ينفي صور الغلو التي قد تنسب إليه ويثبت كونه عبدا مصطفى لله لا يخرج عن حدود البشرية وانما يتميز بالوحي الإلهي [111].

ويرى السيد الطباطبائي أيضاً أن العصمة ترجع في حقيقتها إلى نوع من العلم الخاص الذي يوجد في النفس حالة تمنع من وقوع صاحبها في الضلال أو الخطأ وهي من عند الله ليست أمراً خارجاً عن ذات النبي، بل هي ملكة نفسانية راسخة تصدر عنها الأفعال الاختيارية على نحو الطاعة بحيث لا يقع معها خطأ في تلقي الوحي أوفي تبليغه أو العمل به [112].

فعلى هذا الأساس لا تنافي العصمة صدور مثل هذه الانفعالات البشرية كالخوف ما دامت لا تخرج عن دائرة الطاعة ولا تمس مقام الوحي والتبليغ بل تكشف عن البعد الإنساني في شخصية النبي ضمن إطار الرسالة، ويؤكد الشريف المرتضى في كتابه (تنزيه الأنبياء)، أن ما يظهر من الأنبياء عليهم السلام من حالات بشريةٍ كالخوف ونحوه لا يدل على نقصٍ في مقاماتهم ولا يقدح في عصمتهم ما لم يترتب عليه إخلال بوظيفة التبليغ أو مخالفة لأمر الله تعالى بل يدخل ضمن مقتضيات الطبيعة البشرية التي لا تنافي مقام الاصطفاء، فقوله تعالى {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً موسى}، (طه:67) يدل على وقوع الخوف منه عليه السلام لما شاهد من قوة التخييل السحري وليس ناشئاً عن شك [113] بل مرتبطاً بحفظ الدعوة من التباس الأمر على الناس قبل تبيان الحق ما يكشف عن بعدٍ رسالي في هذا الانفعال، ويؤيد السيد الخوئي هذا بقوله أن النبي «هو نبي من أوصيائه وما أنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» [114]، فهذا اللون من الخوف لا يمثل ضعفاً أو اضطراباً بل يعكس الوعي الرسالي بمسؤولية الدعوة ويجري ضمن حدود الطاعة دون أن يخرج عن مقتضى الرسالة بما يكشف عن دلالته على بشرية النبي من جهةٍ ونفي الغلو في حقه من جهةٍ أخرى.

في المجمل، ما صدر من النبي موسى عليه السلام لا يخرج عن كونه حالة بشرية عارضة اقتضتها طبيعة المقام، وسرعان ما زالت بالتثبيت الإلهي دون أن يترتب عليها أي أثر عقدي يمس مقام النبوة أو يخل بوظيفتها، موكداً أن الأنبياء ليسوا آلهة ولا

---

[107] سورة التوبة، الآية 13.
[108] سورة المائدة، الآية 44.
[109] سورة الأحزاب، الآية 16.
[110] سورة الكهف، الآية 110.
[111] ظ: الميزان في تفسير القران، ج13، ص405. -بتصرف.
[112] م. ن، ج5، ص78+ج2، ص143-144.
[113] ينظر الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء، باب تنزيه موسى عليه السلام عن الخوف، ص105-(بتصرف).
[114] الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص469.

ملائكة، بل بشر يخافون ويحذرون في إطار الطاعة والرسالة.

المطلب الثالث: دلالة الخوف على كمال التوكل (الخوف ثم الرجاء):

لا يمكن حمل الخوف الذي ورد في قصة النبي موسى عليه السلام في السياق القرآني على ضعف يقينٍ أو ترددٍ في التوكل أو نقصه بل يكشف عن كماله حين يقترن بالرجاء والثقة بالله تعالى، فالتوكل الحقيقي ليس إلغاء للشعور بالخطر وإنما هو حالة مركبة تجمع بين إدراك الخوف من الواقع والرجاء في عناية الله وتدبيره، هذا الخوف شعور فطري يجري على مقتضى الطبيعة البشرية يواكب إدراك الخطر دون أن يستقر في النفس، فالأنبياء بشر تعتريهم خواطر الخوف عند ظهور الأسباب، غير أن قلوبهم تكون أسرع القلوب رجوعاً إلى الطمأنينة عند ورود التثبيت الإلهي.

يتجلى هذا المعنى في قصة النبي موسى عليه السلام بوضوح، حيث قال تعالى: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [115]، فهذه الآية تعبر عن خوف طبيعي لم يتجاوز حدود القلق، بل أعقبته مباشرةً رجاء والتجاء إلى الله تعالى، مما يدل على أن الخوف إذا اقترن بالرجاء كان دليلاً على كمال التوكل، لا منافياً له.

ويظهر هذا التلازم في موقف آخر حين واجه النبي موسى عليه السلام سحرة فرعون، قال تعالى {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى} (طه: 67)، فجاء التطمين الإلهي مباشرة {قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى} (طه:68)، فهو تثبيت يرسخ الرجاء ويثبت التوكل، ويؤسس القرآن الكريم من خلال ذلك قاعدة عامة لسلوك المؤمنين كقوله تعالى {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} [116].

يقول المفسرون إن معناه كونوا جامعين في أنفسكم بين الخوف والرجاء في جميع أعمالكم كلها فلا تطمعوا في رحمته ولا تأمنوا مكره وفيتم حق الله في العبادة والدعاء وأن اجتهدتم فيهما بل يكون الإنسان في حالة ترقب وخشية وتأمل لله عز وجل حتى يكون الرجاء والخوف للإنسان كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامته وإن انفرد أحدهما هلك الإنسان [117] كما في قوله تعالى {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} [118]، فرجي وخوف، فيدعو الإنسان خوفاً وطمعاً في ثوابه، قال تعالى: {ويدعوننا رغبا ورهبا} [119]، و{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [120].

فحيث يجتمع الخوف والرجاء في إطارٍ واحدٍ، يشكلان معاً أساس العلاقة بالله تعالى، التي يقوم عليها كمال التوكل، فالخوف إذا اقترن بالرجاء لا يضعف التوكل، بل يكمله، إذ يتحول من مجرد إحساس بالخطر إلى حالةٍ إيمانيةٍ تدفع إلى الاعتماد على الله والثقة به، وهو ما يتجلى بوضوح في سلوك النبي موسى عليه السلام.

يتصدى العلامة الطباطبائي لتأصيل هذا المعنى عقدياً، إذ يرى أن الحالات النفسية كالخوف والحزن لا تنفك عن طبيعة الإنسان بل هي من شؤون النفس التي تجري عليه الإرادة على وفق نظام الأسباب، غير أن التوكل يضبطها ويجعلها خاضعة لمنطق الاعتماد على الله تعالى [121]، ويقول ابن القيم «التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة فإن الدين استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها ولا تزال معمورة بالنازلين لسعة متعلق التوكل وكثرة حوائج العالمين وعموم التوكل» [122]، وذكر السبزواري في مواهب الرحمن في تفسير القرآن أن للتوكل شروطاً منها الاعتقاد بالله تعالى وأنه الرب القيوم المدبر لجميع ما سواه، وأنه لا فاعل في هذا العالم إلا الله تعالى والإذعان بنظام الأسباب والمسببات مع السعي في تحصيلها والتفويض الأمر إليه تعالى وحسن الظن به والتوكل عليه في جميع الشؤون، كما أن له آثاراً منها تحقيق معنى الإيمان والثبات عليه وكونه سبباً للنصر والفوز ومحبة الله تعالى والاطمئنان في النفس [123].

([115]) سورة القصص، الآية 21.
[116] سورة الأعراف، الآية 55-56.
[117] القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل ج5، ص105؛ وابن القيم، مدارج السالكين، ج1، ص554 (بتصرف).
[118] سورة الحجر، الآية 49.
[119] سورة الأنبياء، الآية 90.
[120] سورة الأنفال، الاية:2.
[121] ظ: الميزان في تفسير القرآن، ج4، ص67.
[122] ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج2، ص118.
[123] السبزواري، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج2، ص 27-31.

ويتبين مما تقدم أن الخوف في السياق القرآني في قصة النبي موسى عليه السلام لا يعد نقيضاً للتوكل ولا دليلاً على ضعفه بل عنصر فطري يكمله إذا اقترن بالرجاء والثقة بالله تعالى فالتوكل في حقيقته ليس إلغاء للأسباب ولا تعطيلاً للمشاعر الإنسانية بل توجيه لها ضمن إطار العبودية والاعتماد على الله سبحانه وقد ظهر القرآن الكريم من خلال النماذج النبوية أن الخوف الطبيعي إذا أعقبه الالتجاء إلى الله تعالى صار دليلاً على كمال التوكل وتمامه، إذ يتحول من انفعال بشري إلى حالةٍ إيمانيةٍ واعيةٍ تدفع إلى التسليم والثقة بوعد الله، ومن ثم فإن الجمع بين الخوف والرجاء يشكل قاعدة أصيلة في بناء العلاقة مع الله تعالى، ويعد من أهم مظاهر التوازن الإيماني الذي يثمر الطمأنينة والثبات ويحقق كمال التوكل في حياة المؤمن.

المطلب الرابع: الثمرات التربوية (إعادة النظر في مفهوم الخوف النبوي):

ويكشف السياق القرآني لقصة النبي موسى عليه السلام عن جملةٍ من الدلالات التربوية التي تتجاوز البعد الشعوري للخوف إلى آثاره في بناء الشخصية الإيمانية إذ لا يعرض الخوف في القرآن الكريم بوصفه حالة سلبية أو خللاً في مقام النبوة بل باعتباره انفعالاً فطرياً يجري على مقتضى الطبيعة البشرية تتجلى في لجوء الإنسان إلى الله تعالى في لحظات الخوف في حال الشدة والضعف ثم يوجه ويضبط ضمن إطار العبودية والاعتماد على الله تعالى تجربة الخوف في مسيرة النبي موسى عليه السلام كانت جزءاً من عملية الابتلاء الإلهي والتكوين الروحي، فهي تمهد لمرحلةٍ تربويةٍ واختباريةٍ ممهدةٍ لرسوخ الطمأنينة وتؤسس لبناء شخصيةٍ متوازنةٍ قادرةٍ على مواجهة التحديات اللاحقة في ظل الثقة بالوعد الإلهي.

وفي ضوء ذلك يمكن استخلاص عدد من الثمرات التربوية التي تكشف عن الوظيفة البنائية للخوف في تكوين الشخصية الإيمانية، في ضوء ما طرحه بعض الباحثين المعاصرين عند تحليلهم للبعد التربوي في الخطاب القرآني، بحسب ما ذكر حيدر حب الله [124]، نورد النقاط الآتية:

- أولاً: الخوف تمهيد لمرحلة الاستخلاف: تبين من التحليل القرآني أن تجربة الخوف لا تنتهي بزوال الاستضعاف، بل تشكل مدخلاً لمرحلة الاستخلاف في الأرض، حيث لا يعد التمكين نهاية المسيرة، وإنما بدايةٍ اختبارٍ جديدٍ للإنسان في كيفية ممارسة دوره بعد امتلاك السلطة وعناصر القوة.
- ثانياً: يشير الخطاب القرآني إلى أن انتقال الإنسان من مرحلة الضعف إلى مرحلة القوة والسلطة ليس نهاية المسيرة، لا يرفع حال الابتلاء، بل ينقله الى مستوى آخر من التحدي، إذ تصبح مرحلة امتلاك السلطة نفسها موضع مراقبة واختبارٍ إلهي، وهذا ما عبر عنه نبي الله موسى عليه السلام حين قال لقومه {وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [125]، مشيراً أن مرحلة الاستخلاف بعد زوال الشدة والضعف فهي ليست نهاية الابتلاء، بل بداية اختبار جديد في كيفية الثبات على الإيمان بعد التمكين.
- ثالثاً: الخوف أداة مراقبةٍ إلهيةٍ ومسؤوليةٍ أخلاقيةٍ: يكشف السياق القرآني أن الاستخلاف يضع الإنسان تحت المجهر الإلهي، حيث يتحول الخوف من مجرد استجابةٍ ظرفيةٍ إلى وعي رقابي يحفظ الإنسان من الانحراف عند امتلاك السلطة، مما يجعل مرحلة القوة اختباراً أشد من مرحلة الضعف.
- رابعاً: يعرض القرآن الكريم لنا تصويراً لحياة الإنسان في بعدها الفردي والجماعي ضمن مرحلتي الخوف والأمان، والضعف والقوة: مبيناً أن لجوء الإنسان إلى الله في حال الشدة يمثل أمر فطري طبيعي لا تحمل امتيازاً خاصاً، بقدر ما تعبر عن شعور الإنسان العميق بالحاجة إلى القوة المطلقة لكن التحدي الحقيقي يتمثل في بقاء العلاقة مع الله تبارك وتعالى بعد زوال الخوف أو الشدة والاضطرار وتحقيق الأمان، وفي هذا السياق يقدم القرآن الكريم نماذج أكثر من مشهد إنساني يوضح طبيعة هذا التحول، منها:

أ. حال الإنسان في ظلمات البر والبحر: حيث يقول سبحانه وتعالى {قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً...} [126]، فيلجأ الإنسان إلى الله تعالى عند الشدة ثم يخفت بعد النجاة وتحقق الاستقرار.

---

[124] ظ: الإنسان بين استعجال النتائج وتحديات مرحلة السلطة، تحرير وتنظيم: الشيخ سعيد نورا، نوعه: مقال منشور (pdf\ موقع إلكتروني) - (بتصرف).

[125] سورة الأعراف الآية 129.

[126] () سورة الأنعام، الآية 63-64.

ب. حال الإنسان عند طلب الولد: قال سبحانه {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا} [127]، في تصوير لتحول الإنسان من الالتجاء في القلق إلى الغفلة بعد تحقق المطلوب.

ت. حال الإنسان عند الفقر والحاجة: قال تعالى {لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ... فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ} [128]، مما يكشف هشاشة الالتزام الإيماني حين ينتقل الإنسان من الضيق إلى السعة.

ث. حال الإنسان في البحر العاصف: قال سبحانه {دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ... فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ} [129]، وهو نموذج واضح لطبيعة الانسان الذي يشتد تعلقه بالله في الخوف ثم يضعف عند الأمان.

في المجمل، التجربة القرآنية لا تجعل الخوف قيمةً بحد ذاته، بل يكشف من خلال معيار صدق العلاقة بالله تعالى بعد زوال الشدة، وهوما يظهر في خطاب النبي موسى عليه السلام لقومة حين نبههم إلى هذا المعنى أن الاستخلاف في الأرض ليس نهاية الابتلاء، بل بداية أخرى لاختباركم ومصدقة قوله تعالى {وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [130] لينظر ويرصد أعمالكم.

الخاتمة

لقد أثبت تحليل خوف النبي موسى عليه السلام في القرآن الكريم -من دوافعه ودلالاته إلى ثمراته التربوية- أنه خوف فطري يتنوع بين خوفٍ طبيعي تقتضيه المفاجأة أو الموقف، وخوفٍ مرتبط بمسؤولية الدعوة يتوافق مع اليقين بالله تعالى ليس نقصاً في مقام النبوة بل بعد بشري يؤكد العبودية الكاملة مع حفظ العصمة حيث يأتي الخوف في موارد محددةٍ لا تمس جوهر الرسالة ولا تخل بوظيفتها تجلى في مواقف متنوعةٍ (القبطي، فرعون، الحية، السحر) ليتحول بالتثبيت الإلهي إلى طمأنينةٍ وثقةٍ بالوعد الإلهي معيداً تأويل مفهوم خوف النبي كثمرةٍ إيمانيةٍ.

وقد أفضت هذه الدراسة إلى جملةٍ من النتائج يمكن إجمالها بالآتي:

أولاً: النتائج

1. تنوع دوافع الخوف من حذر عاقبةٍ (القبطي) إلى مفاجأةٍ حسيةٍ (الحية)، وخوف التباس (السحر).
2. طبيعة خوف النبي موسى عليه السلام ليس شكاً في وعد الله تعالى بل خوف بشري مقرون بالأمن والتطمين الإلهي.
3. الخوف المحمود وثمراته:
   أ. ضرورة التمييز بين الخوف المحمود والمذموم يعد ضرورةً منهجيةً في فهم النص القرآني، إذ إن الخوف المحمود باعث على الحذر واتخاذ الموقف الصحيح مخالفاً للمذموم الذي يؤدي إلى التراجع أو الانحراف عن مقتضى التكليف.
   ب. الوظيفة التربوية: تمهيد للاستخلاف ومراقبةٍ إلهيةٍ معيار صدق العلاقة بالله مقرباً النبوة من الإنسانية.
4. كمال التوكل (الخوف ثم الرجاء) يبني شخصية متوازنة قادرةً على مسيرة الدعوة.
5. دلالة البشرية ينفي الغلو في مقام النبي ويؤكد: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ...} (الفرقان: 20) مظهر من مظاهر بشريته التي أكدها القرآن الكريم مع حفظ مقام العصمة.

وفي ضوء ما تقدم يبني القرآن الكريم من تجربة النبي موسى عليه السلام موضوعات تربويةً تتجاوز الشعور إلى تكوين شخصيةٍ إيمانيةٍ قادرةٍ على الاستخلاف في ظل التوكل.

([127]) سورة الأعراف، الآية 189-190.
[128]() سورة التوبة، الآية 75-77.
[129]() سورة يونس، الآية 22-23.
[130]() سورة الأعراف، الآية 129.

ثانياً: التوصيات

1. تربية الأجيال على توفيق الحذر الفطري مع اليقين القلبي مستمدةً من تجربة النبي موسى عليه السلام.
2. إجراء دراسةٍ مقارنةٍ لخوف الأنبياء عليهم السلام وفق منهج دلالي للكشف عن المشتركات والفروق في تجاربهم الإيمانية لاستخلاص العبر المشتركة لبناء الشخصية الإيمانية.
3. دمج التحليل الدلالي مع المنهج النفسي في دراسات لاحقةٍ تتناول العواطف في الخطاب القرآني، ولاسيما في التجربة النبوية.
4. توسيع البحث في البعد التربوي للخوف المحمود مع ربطه بمنظومة القيم الإيمانية كالتوكل والرجاء واليقين في مناهج التربية الإيمانية المعاصرة.
5. تطوير مناهج التربية بالخوف المحمود كأداة لتكوينٍ الحذر العقلي مع التوكل.
6. إعادة قراءة المفاهيم المرتبطة بالخوف في الخطاب الديني المعاصر بما يعزز الفهم المتوازن للعلاقة بين الخوف والرجاء في الفكر والسلوك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

1. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت751 هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، ط1، الناشر: دار الكتب العلمية \بيروت-لبنان.
2. ابن عاشور، محمد الطاهر (ت 1393هـ)، التحرير والتنوير، تونس: دار التونسية للنشر والتوزيع (1404هـ\1984م).
3. الغرناطي، محمد بن يوسف بن علي (745 هـ)، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت 1420 هـ.
4. البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت691هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، إعداد محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1.
5. الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي (ت 1413هـ)، البيان في تفسير القرآن، مؤسسة أنوار الهدى، بيروت، 1401 هـ _ 1981م.
6. الزمخشري، محمود بن عمر (ت538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ -1998م.
7. السبزواري، السيد عبد الأعلى الموسوي (1414هـ)، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، قم: منشورات دار التفسير، ط5، 1431هـ \2010م.
8. السبزواري النجفي، محمد (ت1414هـ)، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط1(1419هـ\1998م).
9. الشريف المرتضى، علي بن الحسن (ت436هـ)، تنزيه الأنبياء، تحقيق: دار الأضواء، بيروت، ط2(1409هـ، 1989م).
10. الصابوني، محمد علي هـ (ت 1442هـ)، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1402هـ \ 1981م.
11. الطباطبائي، محمد حسين (ت 1402هـ)، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط4، 1362هـ.
12. الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت548هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن ط1 (1427هـ -2006م)، دار المرتضى بيروت.

13. الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار التربية والتراث، مكة المكرمة.
14. الطوسي، محمد بن الحسن (ت460هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.
15. القرطبي، محمد بن أحمد (671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن ومحمد رضوان وخالد العواد ومحمد معتز كريم، مؤسسة الرسالة، ط1(1427هـ-2006م).
16. قطب، إبراهيم حسين (ت 1386هـ)، في ظلال القرآن (ت، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1972م، ثم ط 32 الطبعة الشرعية: 1423هـ\2003م).
17. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (450 هـ)، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان.
18. القاسمي، محمد جمال الدين (ت 1332هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1424هـ\2003م.
19. ابن القيم، محمد أبي بكر بن أيوب (ت751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
20. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد (728هـ)، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1416هـ \1996م.
21. الزحيلي، وهبة بن مصطفى (ت 1436هـ)، التفسير الوسيط، الناشر: دار الفكر – دمشق، ط1-1422هـ).

المقالات

1. حيدر حب الله، الإنسان بين استعجال النتائج وتحديات مرحلة السلطة، تحرير وتنظيم: الشيخ سعيد نورا، نوعه: مقال منشور (pdf \موقع إلكتروني).